عاملاً لديه، إلا اذا كان راضياً عنه، وإلا اذا ملأ استمارات تزداد تفاصيلها مع الزمن، وتتناول كل علاقاته، وكل اوضاعه، وكل حركات وسكنات روحه؛ فالرأسمالي «راض» عن عامله، والعامل مضطر لـ «يرضى» عن عمله لأنه من دون ذلك يموت جوعاً. لكن علاقة الاستغلال هي شاذة انسانياً، وتفرض الصراع، مهما تطور «السلام» بين الطرفين. إذا قلنا بـ «السلام الطبقي»، لا نلغي «الصراع الطبقي»؛ لان هذا ناجم عن الشذوذ في العلاقة الانسانية بين المستغِلين والمستغَلين، ولا يهدأ، الا بزوال ذلك الشذوذ. والشيء ذاته، اذا قلنا بـ «السلام» بين الورم الخبيث والجسم؛ فلا يؤدي ذلك الى عدم تفاقم المرض، ولا الى عدم ضرورة أحد حلين: إما الانقاذ الجراحي، او الموت.

كانت مهمة الديمقراطيات ـ الاشتراكية التاريخية هي، بالضرورة، قيادة النضال الطبقي للطبقة العاملة، أي القيادة الانسانية الارادية الواعية لحركة الطبقة العاملة ضمن معطيات الصراع الطبقي التاريخية نحو تحرير ذاتها من الاستغلال الرأسمالي.

العنف هو أحد اشكال النضال الطبقي التاريخي، وفي مراحل معينة منه. وهو، فوق ذلك، وسيلة محض دفاعية لدى الطبقة العاملة، بعكس ما تحاول البورجوازية الايحاء به. الرأسماليون هم المعتدون على العمال دوماً، مثلما كان السادة الاقطاعيون المعتدين على العبيد والاقنان دوماً. لكن كان اعتراض العبيد على الظلم، وتمردهم عليه، هو، في عرف القانون الاقطاعي، اعتداء على سيادة الاقطاعيين، لا على الاقطاعيين؛ والفارق كبير. كذلك اعتراض العمال على الاستغلال الرأسمالي، وتمردهم عليه، هو، في نظر القانون البورجوازي، اعتداء على سيادة البورجوازية، ولذا يستحق كل عقوبة.

لذا، المناداة بـ «السلام الطبقي»، انطلاقاً من ان العنف هو سلاح الطبقة العاملة في حركتها التاريخية، تقع في خطأ كبير ناجمة عن وهم بورجوازي. عندما يُضرب العمال من أجل مطلب نقابي، أو سياسي، تلجأ الدولة البورجوازية الى كل انواع القمع، فمن يكون المعتدي حينئذٍ؟ ومن يكون العنف وسيلته الدائمة؟ الاضراب هو حق ديمقراطي للعمال؛ كذلك عقد الاجتماعات؛ كذلك الانتماء الى أحزاب بروليتارية. ولكن ما هو موقف الحكومة البورجوازية، عموماً، من هذه الحقوق «الديمقراطية»، «السلمية»؟ القمع، أي العنف، الذي يتراكم، حتى يولد ردة فعل من نوعه، هي، ان انتصرت، تعمل على المصالحة، وان انهزمت تتعرض للانتقام المريع، واحياناً لابادة العناصر الثورية. الامثلة التاريخية، والواقعية، على ذلك لا حصر لها.

ومثلما أن قيادة الديمقراطيات ـ الاشتراكية لنضال الطبقة العاملة ما كان يمكن ان يعني التحرك الطائش الأهوج، كذلك، فان انتهاجها طرق «المصالحة الطبقية» ما كان يمكن ان يعني التعقل والرزانة، وانما ما عناه، ويعنيه، هو فقط التسليم بالقيادة البورجوازية للمجتمع، ووضع الذات بشكل مقصود، أو غير مقصود، في خدمة تلك القيادة.

□ قلنا، ان المنحى الثاني، الذي سارت فيه الاجتهادات الديمقراطية ـ الاشتراكية في نهاية القرن التاسع، هو منحى تجنيد العمال في المسألة القومية، وهو ليس منحى بديلاً من الاول، وانما هو مرافق له، وربما ناتج عنه.

ليس الجدل، هنا، في كون الطبقة العاملة لديها مستوى عال من العواطف القومية. وفي كون المصلحة القومية هي مصلحتها، وفي كونها كانت وقوداً اساسياً للمعارك، التي وقعت باسم المصالح القومية، طيلة عصور سيطرة البورجوازية، وعلى مستوى العالم كله. انما